ملخص البحث

إن الحمد لله نحمده ونشكره، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وأسألك اللهم أن تصلي وتسلم على نبي الرحمة المبعوث بالحق إلى كافة الخلق من غني وفقير، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

تحمل هذه الدراسة عنوان ـ **النُصرةُ والرزقُ بالضعفاء** ـ ومنطلقها قوله صلى الله عليه وسلم "ـ (**أبغوني في الضعفاء، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**) ، اعتمدت هذه الدراسة على تتبع النصوص القرآنية الكريمة ، والآثار النبوية الشريفة قولاً ، وفعلاً ، وتقريراً، والوقوف على حرصه صلى الله عليه وسلم واهتمامه بأولي الضرر، وتحذيره من العواقب الوخيمة التي قد تلحق بالمجتمع من جراء أي ضرر يلحق بهذه الفئة أو أي أذى تتعرض له.

وقد كان صلى الله عليه وسلم سنداً ونصيراً لهذه الفئة المستضعفة من نساء وأطفال، ويتامى، وعجزة، وأرامل، وخدم، وموالي ، ومساكين، وكل من أصابه ضرر عضوي أقعده عن أداء مهامه من عمي أو مرض أو عرج أو أي ضرر حال بينه وبين أداء التزاماته الدينية أو واجباته الدنيوية.

وفي المقابل وضحت السنة النبوية الشريفة أن هذه الفئة المستضعفة لعبت دوراً بارزاً ومهماً في نُصرة الدعوة المحمدية ـ على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ ، كما بينت الفوائد الجمة التي تحصدها أي أمة من الأمم تكرم هذه الفئة. وأولى هذه الفوائد أن يحل رضوان الله تعالى عليها وينظر إليها بعين الرحمة وطوبى لمن نظر الله إليه بعين الرحمة.

المقدمة

بُعث المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى عالم مليء بالشرك والفساد، وكان الجهل ينعم فيه بجاه منقطع النظير؛ فقد ضربت الفوضى بأطنابها في كل مناحي الحياة الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومنهم من كان يدفن البنات خشية العار والفقر والإملاق، وكانت المرأة تباع وتشترى كالعبد ليس لها قيمة . وكانت كفة القوة هي الأرجح فالقوي يأكل الضعيف؛ فضلاً عن ذلك كان الفقر هو السائد في جزيرة العرب فكانت أفقر الأمم لأنهم لم يعرفوا الحرف والصناعات. " والسبب في ذلك أنهم أعرق في البداوة وأبعد عن العمران الحضري وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها "[1]

وكان قانونهم يعتمد على فلسفة أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، وكانت الغاية من مبعثه صلى الله عليه وسلم إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم،وإذابة كل الفروق بين الناس، ومن حكمه البالغة سبحانه وتعالى بأنه كان من بين الذين نصروا الله تعالى وذبوا عن محارم الدين الحنيف، ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم صهيب الرومي، وسلمان الفارسي وبلال الحبشي،قال صلى الله عليه وسلم " السباق أربع أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبشة "[2] فقد صحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم فلمست منه هذه الفئة المستضعفة من حسن المعاملة ما أنساهم أي شعور أو إحساس بالنقص، أو الغربة، والاضطهاد، كيف لا وهو القائل : " لا فَضَلَ لِعَرَبِيٍ عَلَى أَعْجَمِي إلا بالتَقْوَى" 3

في بادي الأمر كان صلى الله عليه وسلم يقف فرداً وحيداً، والبشرية جمعاء في الجانب المقابل، عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم ، في الموسم ومجنة وعكاظ ومنازلهم: من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالات ربي ، فله الجنة ، فلا يجد أحداً ينصره ، ولا يؤويه ، حتى إن الرجل ليرحل من مضر أو من اليمن ، إلى ذوي رحمه فيأتيه قومه فيقولون له احذر غلام قريش لا يفتنك ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله ـ عز وجل ـ يشيرون إليه بالأصابع "4

ثم آمن به نفر قليل ممن هدتهم فطرتهم السوية إلى حقيقة هذا الدين الحنيف.فجاهدت هذه الفئة وصبرت على أذى قريش، وعاشت في شظف من العيش واستعذبت كل علقم طاعة لله ولرسوله الكريم

---

1 مقدمة ابن خلدون/ 404

2 المعجم الكبير للطبراني8 /34، ومجمع الزوائد 9/ 318.

3 رواه أحمد 5 / 411 ، وأخرجه عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وقال الشيخ شعيب في تعليقه على زاد المسير"7 / 475 إسناده صحيح .

4 رواه أحمد في المسند(3/ 322، 339) والحاكم في كتاب التاريخ (2/ 624) وقال هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة.

صلى الله عليه وسلم ،هذا وقد روت كتب السير صوراً محزنة من تعذيب قريش للمؤمنين وللضعفاء خاصة من العبيد، والنساء والشيوخ؛ كما حدث لعمار بن ياسر الذي ملى إيماناً إلى مشاشه وأمه سمية، وبلال، وخُباب، وعامر بن فهيرة ، والزّنّبرة ، وجارية بني مؤمل وغيرهم كثير.[1]

وكتب الله تعالى لهذه الفئة المستضعفة في سابق علمه النصر؛ فتسلحت بالإيمان بالله تعالى، والعزيمة والإصرار لنصرة دين الحق، ورفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.حتى مَكَّنَ الله تعالى دينه في الأرض وأتم بفضله نعمته على عباده.

المحور الأول

مفهوم الضعف

أ . الضعف لغة

معاني الضعف كثيرة تتباين في مبناها وتتفق في معناها، وتصب في بوتقة واحدة مطاطية الحجم لتسع العديد من المعاني، ومنها ؛ التواضع والمسكنة، والبعد عن الأبهة، والخيلاء، والغطرسة،والكبرياء، كذلك من معني الضعف لين الجانب والانكسار، ليس لهم قوة تنفع أو تدفع إلا قوة الله تبارك وتعالى، يفسر لنا الضعف في معناه اللغوي لسان حال الشاعر:

لَوْ كُنْتُ مِن مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي بَنُو اللَّقِيطَةِ مِن ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانِ

ومن حكمة الله تعالى أن الضعف في الإنسان رجلاً أو امرأةً كبيراً أو صغيراً سبباً من أسباب الرخصة والتوسعة عليه.

ب . الضعف اصطلاحاً:

ورد الضعف في السنة النبوية الشريفة بمعاني كثيرة قال النبي صلى الله عليه وسلم:" أَلَا أُخْبِرُكَ عَنْ مُلُوكِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى قَالَ رَجُلٌ ضَعِيفٌ مُسْتَضْعِفٌ ذُو طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ "[2] ومعنى كل ضعيف مستضعف ذي طمرين أي: ثوبين باليين خلقين لا يؤبه له. وقوله صلى الله عليه وسلم: " وأهل الجنة ثلاثة: -وذكر منهم- ضعيف متضعف لو أقسم على الله تعالى لأبره "[3] أي: فيه ضعف ومهما تباينت هذه المعاني، اتفاقاً واختلافاً؛ فإن الله ورسوله يحبون المؤمن القوي من الناحية

---

1 أنظر السير والمغازي لابن اسحق : ص 154 ، 189 ـ194) وسيرة ابن هشام: 1 (339 ـ 342) ، والسيرة النبوية لابن كثير (1/ 493 ـ 497)

2 سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب من لا يؤبه له حديث رقم 4105.

3 رياض الصالحين باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والمساكين حديث رقم 250.

البدنية، أو الجسمانية ومن الناحية النفسية والروحية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"[1] وما يستفاد من هذا الحديث أن المؤمنين يتفاوتون في الخيرية.

وأشار صلى الله عليه وسلم إلى بعض معاني الضعف الذي انتابه إثر خروجه من الطائف بعد أن ذاق ما ذاق من العذاب؛ فلجأ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ليحمي نفسه من سفهاء ثقيف، ويستجم من عناء السفر، وعندها دعا ربه بقوله :. " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي... "[2]

وسوف أتناول من خلال هذا المحور أسباب الضعف ومظاهره استناداً على ما في ورد السنة النبوية الشريفة :.

1. الشعور بالغربة :

افتقاد المرء للقبيلة، أو العزوة، أو العشيرة، يولد بداخله شعوراً بالنقص؛ ويثمر هذا الشعور، أو يؤدي إلى حالة من العزلة، فعمل الرسول صلى الله عليه وسلم على الحفاظ على حقوق هذه الفئة المستضعفة أو الأقلية وجنبها أي شعور بالنقص أو العزلة، فعندما رأي سلمان الفارسي يحس بالوحشة والغربة بعيداً عن أهله وعشيرته، فضلاً عن ذلك كان سلمان يفتقد إلى الحصانة (القبلية)، حيث المجتمع وقتئذ ، في تكوينه الاجتماعي لا يحمي الضعفاء غير المنضوين تحت راية أحد البطون فيه. لكن هدته فطرته السوية إلى ملة إبراهيم عليه السلام، وساقته قدماه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حيث وجد ذاته . التي كان يبحث عنها . في الإسلام، لقوله صلى الله عليه وسلم : " سلمان منا آل البيت"3.

لقد اعتمد الإسلام على مبدأ وحدة المسلمين، وتعاونهم؛ لتخفيف الضغوط الخارجية التي قد تقع على الفرد ، أو الجماعة، لأنها تؤدي إلى الإحباط، كذلك فقد طبق صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ تطبيقاً عملياً عندما آخى بين المهاجرين والأنصار.

2. الوهن:

الوهن يعني القوة الخائرة؛ أو الضعف المعنوي؛ الذي يتسرب إلى نفس الإنسان ، فقد يكون الكثير قليل، والعظيم حقير وذليل، ويفسر هذا المعنى الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت

---

1 أخرجه مسلم ظلال الجنة حديث رقم 356 :

2 السيرة النبوية:ابن هشام، مكتبة المنار الأردن الورقاء ط1 1988م، ج2 / 71

3 أخرجه الحاكم 3 / 598 وسنده ضعيف.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لثوبان : "كيف أنتم يا ثوبان إذ تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام، يصيبون منه " . قال ثوبان : " بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أمن قلة بنا . قال : " لا ، بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن يُلقى في قلوبكم الوهن " قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : " حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال " 1

3. الغرور :

وهو حالة مرضية تعتري النفس البشرية، و تفضي إلى عدم الثبات؛ مما يزلزل الجانب المعنوي في الفرد، وآثاره أشد وطأة على الجندي من أي مرض عضوي؛ كما حدث يوم حنين حين ردد المسلمون لن نهزم اليوم عن قلة؛ فكان أن ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم في قلة من أصحابه، وعندها عاتبه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ 2

4. العبودية:

استكبر أكابر قريش أن يتبعوا ملة الإسلام؛ لأنها رفعت من شأن العبيد وساوت بين العبد وسيده، فهذا بلال الحبشي يقف بفضل الإسلام مع علية القوم من أشراف قريش؛ فالإسلام دين مساواة وحرية لقوله صلى الله عليه وسلم : " لا فَضَلَ لِعَربِي عَلَى أعْجَمِي إلا بالتَقْوَى".3 وهكذا تخلص العبيد والأرقاء من كل أسباب عبوديتهم، ومظاهرها بمجرد نزول الوحي الأمين على النبي الكريم، ووجدوا في الإسلام ملاذاً من ذل العبودية والظلم، ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تسميتهم بالعبيد أو الإماء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " لا يقولن أحدكم عبدي و أمتي. كلكم عبيد الله. وكل نسائكم إماء الله. ولكن ليقل: غلامي و جاريتي وفتاي و فتاتي".4 إذاً وجد العبيد في الرسالة المحمدية بغيتهم؛ وكانت هي طريقهم المعبد للحرية وإنقاذ إنسانيتهم؛ فشعروا بالعزة والكرامة بعد أن شويت أجسادهم في رمضاء مكة وحصبائها تحت وقع سياط أسيادهم؛ ولكنهم مع كل

---

1 أخرجه أحمد 2 / 359 عن ثوبان ، وأخرجه و أخرجه أبو داود حديث رقم 4397 ، ولفظه " يوشك المم أن تداعي عليكم ، كما تداعي الأكلة على قصعتها ... "

2 سورة التوبة الآية 25 ـ 26.

3 سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ) الناشر دار الكتب العلمية د. ت وحسنه وصححه ابن تيمية وغيره وهو مخرج في غاية المرام 312 .

4 صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي سنة النشر 1954م، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب حكم إطلاق لفظة العبد و الأمة و المولى و السيد حديث رقم 2249

هذا العذاب لم يتزحزحوا عن دين الحق، وكلمة التوحيد.

وتأكيداً لهذه المكتسبات العظيمة أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم كل من توسوس له نفسه ويضرب مملوكه بالكفارة كما حدث زاذان بن أبي عمر. قال:أتيت ابن عمر، وقد أعتق مملوكا. قال: فأخذ من الأرض عوداً أو شيئاً. فقال: ما فيه من الأجر ما يسوى هذا. إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه " [1].

كذلك عاش زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسمى بزيد بن محمد حتى نزل فيه قوله تعالى ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾ [2]وهو الذي آثر العبودية مع سيد البشرية على الحرية في كنف والده؛ لما وجده من حسن المعاملة، وعنه كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول : " مَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي جَيْشٍ قَطُّ إِلَّا أَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ وَلَوْ بَقِيَ بَعْدَهُ اسْتَخْلَفَهُ "[3]

5. الإكراه مع اطمئنان القلب:

ويتجلى لنا الإكراه في موقف عمار بن ياسر؛وهو من (المستضعفين)، الذين وصفهم صاحب الطبقات (قوم لا عشائر لهم بمكة وليست لهم منعة ولا قوة) [4] تعرضوا للتعذيب، سجناً وضرباً، وجوعاً وعطشاً، لإرغامهم على العودة عن الإسلام؛ عندما عذبه كفار قريش أشد العذاب، وقتلوا أباه وأمه؛ بل تمادوا في غيهم، وطلبوا منه أن يسب الرسول صلى الله عليه وسلم ففعل وهو كاره، فقابل الرسول صل الله عليه وسلم وهو يبكي فمسح المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دموعه بيده الشريفة وهو يواسيه بقوله : " أخذك الكفار فغطوك في الماء ، فقلت كذا وكذا أجاب عمار وهو ينتحب " نعم يا رسول الله " فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبتسم إن عادوا فقل لهم مثل قولك هذا وقرأ ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [5]

6. اليتم :

---

1 صحيح مسلم كتاب الإيمان باب وكفارة من لطم عبده حديث رقم 1657.

2 سورة الأحزاب آية / 5

3 مسند أحمد كتاب باقي مسند الأنصار باب السند السابق حديث رقم 24711، والاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر ج1 / 544.

4 الطبقات الكبرى : ابن سعد تاريخ الطبع 1967م ، ج3 / 248

5 أخرجه ابن سعد 3/ 249، وأبو نعيم في الحلية 1 / 140 والطبري 14/ 183، والحاكم2/ 357، وصححه ووافقه الذهبي. * سورة النحل آية / 206

يجسد اليتم كل ملامح الضعف والانكسار؛ ويرى علماء اللغة أن أصل اليتم الغفلة، وسبب التسمية نسبة لعدم الاعتناء الذي يعاني منه من فقد كفيله، يقول المفضل: وبه سمي اليتيم يتيماً لأنه يتغافل عن بره. أما أبو عمر فقال اليتم : الإبطاء ، ومنه أخذ اليتيم لأن البر يبطيء عنه [1]. واليتيم : كما تشير كتب اللغة هو : الفرد من كل شيء . يقال : بيت يتيم ، وبلد يتيم . ومن الناس من فقد أباه ومن البهائم من فقد أمه. وبما أن كفالة الطفل تقع على عاتق الأب إذاً أصبح فاقد الأب يتيماً دون من فقد أمه .وعلى العكس في البهائم ، فالمسئولية المباشرة على الأم لذا من فقد أمه يتيماً .وتتسع رحمة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعطفه لتشمل اليتيم برعاية تامة، وحث أمته على ذلك بل نقلها إلى مرحلة التطبيق العملي؛ حتى تتم معاملة اليتيم بالحسنى ، ورعاية حقوقه ليتجلى إلى الناس مدى التأثير الذي يخلفه هذا العمل الإنساني.

7. الأسر

راعى الإسلام حقوق كل الضعفاء من الناس؛ الذين لا حول ولا قوة لهم ،ومن بينهم الأسير ، فيكون تحت رحمة آسريه لذا أوجب رعاية حقوقهم .وأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بعدم قتله : لَا يَتَعَاطَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَسِيرِ أَخِيهِ فَيَقْتُلَهُ "[2]

وروى ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار: "أن يعقلوا معاقلهم (أي يتحملوا دياتهم) وأن يفدوا عانيهم" أي أسيرهم 3

وقال القرطبي أيضا في قوله تعالى: {وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر} يريد: إن طلب هؤلاء المؤمنون ـ الذين لم يهاجروا من أرض العدو ـ عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم، فأعينوهم، فذلك فرض عليكم، فلا تخذلوهم، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق، فلا تنصروهم عليهم، ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته) [4]

قال ابن العربي: " إلا أن يكونوا مستضعفين، فإن الولاية معهم قائمة، والنصر لهم واجب، حتى لا تبقى منا عين تطرف، حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحدنا درهم "[5]

---

1 لاحظ للموضوع من ناحيته اللغوية : لسان العرب/ مادة يتم . ومن الناحية الفقهية كافة المصادر الفقهية لجميع المذاهب .

2 مسند أحمد كتاب أول مسند البصريين باب من حديث سمرة بن جندب حديث رقم 19336.

3 رواه أحمد عن ابن عمر ج271/1، وعن ابن عباس. قال البنا في الفتح الرباني (10/26): لم أقف عليه لغير أحمد، وسنده صحيح. وأورده الحافظ ابن كثير، وقال: تفرد به أحمد.

4 تفسير القرطبي ج57/8 سورة الأنفال آية: 72 .

5 أحكام القرآن لابن العربي 887/2 .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ فَدَى أسِيراً مِنْ أيْدِي العَدُو، فأنا ذَلكَ الأَسِيرُ".[1] واقتدى صحابته الكرام بسنته الشريفة وساروا على نهجه الكريم فيما يرويه ابن عساكر قال: قال عمر بن الخطاب: لأن أستنقذ رجلا من المسلمين من أيدي المشركين أحب إليّ من جزيرة العرب " [2]

كذلك من أسباب الضعف ومظاهره ، والترمل ،والفاقة والحاجة، وكبر السن

المحور الثاني

تصنيف الضعفاء

عرفت بعض المجتمعات البشرية ما يسمى بالأقليات، ومُيزت هذه الفئة عن بقية أفراد المجتمع؛ إما بسبب قوميتها، أو لونها، أو لغتها وأحياناً قد يكون السبب الانتماء الجغرافي، وأياً كان هذا السبب؛ فقد وجدت هذه الفئة المستضعفة كل احتقار وازدراء من قبل بقية فئات المجتمع ، وجاء الإسلام لإزاحة هذا التميز البغيض، بل عمل على إبراز الصفات الإيجابية في هذه الفئة المستضعفة؛ التي تشمل شريحة واسعة من فئات المجتمع الإسلامي، وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم أن يحبس نفسه ويثبتها مع هذه الفئة: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[3]

كما ساوى الإسلام بين الشرفاء والضعفاء في الحدود، فلا يوضع الحد عن الشريف لشرفه إذا ارتكب ما يوجبها ، ولقد بيّن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن التفرقة بين الشرفاء والضعفاء في الحدود كانت العلة في ضلال الأمم السابقة، وقد وردت أمثلة وشواهد كثيرة من أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تؤيّد ذلك. فقد سرقت امرأة من بني مخزوم في عهده ، فخافت قبيلتها من قطع يدها ، لأن تطبيق الحدّ على هذه المرأة يعتبر فضيحة تَلْحَقُ بقبيلتها ذات الحسب والنسب، فما كان منهم إلاّ أن استشفعوا بأسامة بن زيد حب المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وابن حبه ليكلمه في عدم قطع يدها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه:" أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ

1رواه الطبراني في الصغير، تحت من اسمه حصين: 151/1 ، وأورده صاحب (مجمع الزوائد) في الجهاد: باب فداء أسرى المسلمين من أيدي العدو 332/5 ، قال الهيثمي: أحاديثه صحاح، وضعفه الأزدي وبقية رجاله ثقات.

2 قال في التقريب: (379/1)، رقم: 35.

3 سورة الكهف آية / 28

وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " [1] وقد ورد في الذكر الحكيم العديد من النصوص التي تشير صراحة إلى هذه الفئة منها قوله تعالى﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [2]

وجاءت السنة النبوية الشريفة موضحة، ومفصلة، ومبينة لحدود الخارطة التي تضم هذه الفئة المستضعفة ؛التي لعبت دوراً مهماً وبارزاً. بفضل الله تعالى وعونه ومدده الإلهي. في رفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإعلاء كلمة الحق، والذب عن محارم الله تعالى؛ فشرفها الله تعالى بنصرة دينه، ونصرة نبيه الكريم. صلى الله عليه وسلم .

سوف أقف عند بعض النماذج، وأتناولها بالشرح والتفصيل؛ حتى أتمكن من الوقوف على الدور الايجابي الذي لعبته هذه الشرائح المستضعفة في نصرة الدين الحنيف، وكيف أجرى الله تعالى على أيدهم الرزق وساق الخيرات لهذه الأمة المرحومة :.

1. فئة العبيد والخدم والأرقاء :

لقد حث المصطفى. صلى الله عليه وسلم. أصحابه الكرام على حسن معاملة الخدم والعبيد: كما حَدَثَ الْمَعْرُورِ عن أَبِي ذَرٍّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ فِتْنَةً تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِهِ وَلْيَكْسُهُ مِنْ لِبَاسِهِ وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ " [3] وفي صحيح ابن ماجه عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم. فأطعموهم مما تأكلون. وألبسوهم مما تلبسون. ولا تكلفوهم ما يغلبهم. فإن كلفتموهم، فأعينوهم"4

وتتجلى سماحة الدين الحنيف في مواضع شتى منها نصرة هذه الفئة الضعيفة التي التهمت حقوقها غصبًا وجورًا بعض الوحوش الضارية من المجتمع؛ تحقيرًا، لهم وتقليلاً من شأنهم؛ وهنا نقف على موقف السنة النبوية الشريفة ودورها في حماية هذه الشرائح المستضعفة؛ قولاً وتطبيقًا ،كما راعت الناحية النفسية والمعنوية؛ فضلاً عن الوضع الاجتماعي، مما أدى إلى نهوض هذه الأقليات بدورها الايجابي والتوعوي فذبت عن محارم الله تعالى ونافحت عن نبيه الكريم. صلى الله عليه وسلم. وحدث أَبو بكر

---

1 سنن الترمذي كتاب الحدود باب كراهية أن يشفع في الحدود حديث رقم 1350.

2 سورة الحشر آية / 7

3 مسند أحمد كتاب مسند الأنصار باب حديث أبي ذر الغفاري حديث رقم 20440

4 سنن ابن ماجه: المؤلف ابن ماجة (275هـ) دار إحياء التراث العربي1975م، كتاب الأدب باب الإحسان إلى المماليك حديث رقم 3690

الصديق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّئُ الْمَلَكَةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَكْثَرُ الْأُمَمِ مَمْلُوكِينَ وَيَتَامَى قَالَ نَعَمْ فَأَكْرِمُوهُمْ كَكَرَامَةِ أَوْلَادِكُمْ وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ قَالُوا فَمَا يَنْفَعُنَا فِي الدُّنْيَا قَالَ فَرَسٌ تَرْتَبِطُهُ تُقَاتِلُ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَمْلُوكُكَ يَكْفِيكَ فَإِذَا صَلَّى فَهُوَ أَخُوكَ "[1]. و عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال"من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله، بكل إرب منها، إربا منه من النار".[2].وذلك لأن سنته الشريفة تقوم على مبدأ الرحمة " وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ لَا يَرْحَمْ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " [3]. فأي شرف وعز نالته هذه الفئة المستضعفة؛ حتى أنهم أصبحوا في مرتبة الأخوان، وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر[4] .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَالْمِقْدَادُ فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالًا فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ "[5]

لقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم نعم القدوة لأصحابه وتطبيقاً لمبدأ العدالة مع هذه الفئة المغلوبة على أمرها عندما أزاح عن صفية بنت حيي ذل العبودية؛ فأعتقها، وقدم لها هذا العتق مهراً لزواجه منها ، عَنْ أَنَسٍ " أَن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم أَعْتَقَ صَفِيَّةَ وَجَعَلَهُ صَدَاقَهَا"[6] . كذلك عنه صلى الله عليه وسلم قال: " أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلما كان فكاكه من النار يجزئ كل عضو منه عضوا منه وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانت فكاكه من النار يجزئ كل عضو منهما عضواً منه وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزئ كل عضو منها عضواً منها" 7

---

1 سنن ابن ماجة: كتاب الأدب باب الإحسان إلى المماليك حديث رقم 3691 (في الزوائد: في إسناده فرقد السبخي. وهو، وإن وثقه ابن معين في رواية، فقد ضعفه في أخرى. وضعفه البخاري وغيره) .

2 صحيح مسلم باب فضل العتق ، حديث رقم 1509.

3 صحيح مسلم كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال حديث رقم 4283

4 رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار 30 باب إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه (4 / 240).

5 سنن ابن ماجة كتاب المقدمة باب فضل سلمان وأبي ذر والمقداد حديث رقم 147.

6 سنن النسائي: النسائي كتاب النكاح باب التزويج على العتق حديث رقم 3290.

7 سنن الترمذي (303هـ) دار البشائر الإسلامية 1986م، باب ما جاء في فضل من أعتق حديث رقم 1587حديث حسن صحيح.

2. أولي الضرر

الضرر بمعنى الأذى ؛ الذي يحول بين المرء وبين القيام بأداء واجباته الدينية، والتزاماته الدنيوية؛ كالعرج والعمى؛ وغيرهما من أنواع الأمراض، أو التشوهات الخلقية؛ التي تؤدي إلى تعطيل عضو من أعضاء جسد الإنسان؛كالعمى الذي كان يعاني منه ابن مكتوم ، وحموشة الساقين التي كانت من أبرز صفات ابن مسعود.والعرج الذي أصيب به عمرو بن الجموح.

كثيرا ما كان يخاطب المصطفى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مكتوم بقوله: مرحبا بمن عاتبني ربي فيه لقوله تعالى ﴿ **عبس وتولى أن جاءه الأعمى...** ﴾ [1] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ عَنْ بَدْرٍ وَالْخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ لَمَّا نَزَلَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِنَّا أَعْمَيَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهَلْ لَنَا رُخْصَةٌ فَنَزَلَتْ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً فَهَؤُلَاءِ الْقَاعِدُونَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ عَلَى الْقَاعِدِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ " [2]

من أولي الضرر كذلك عبد الله بن مسعود؛ وهو أول من جهر بالقرآن الكريم بمكة؛ وكان بساقيه حموشة؛ لذا رد المصطفى صلى الله عليه وسلم على ضحك الصحابة عليه بقوله :ـ ما تضحكون لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد ".[3] والجدير بالذكر أن أبا طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد شهد له المصطفى صلى الله عليه وسلم بمواقفه الكريمة معه كان من أشهر العرجان، وعيرته بعض نسائه بالعرج فرد عليها :

قالت عرجت فقد عرجت فما الذي أنكرت من جلدي وحسن فعالي

3. الأرملة :

الأرملة هي المرأة التي فقدت بعلها ، قال صلى الله عليه وسلم :" الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو: كالذي يصوم النهار ويقوم الليل " [4] عن عوف بن مالك الأشجعي قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوْمَأَ يَزِيدُ بِالْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا".[5]

4. الضعيفان :

---

1 سورة عبس آية / 1. 2

2 سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن باب من سورة النساء حديث رقم 2958.

3 رواه أحمد وأبو يعلي والطبراني ورجالهم رجال صحيح غير أم موسى وهي ثقة (الهيثمي مجمع الزوائد 9 / 288)

4 أخرجه البخاري في صحيحه باب: الساعي على الأرملة. حديث رقم 5660.

5 سنن أبي داود كتاب الأدب باب فضل من عال يتيماً حديث رقم 4482.

وهما اليتيم والمرأة فيما يرويه أبو هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ"[1] ، أما اليتيم فقد حث صلى الله عليه وسلم على كفالته؛ بل قارن بينه وبين كافل اليتم في قوله: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ " [2]

جاء اهتمام الإسلام باليتيم لأن عدم العناية به يولّد في نفسه الكراهية والحقد وغيرهما من الآثار السلبية التي تترك بصماتها واضحة في جبين المجتمع .

أما المرأة فيكفيها من الشرف وصيته صلى الله عليه وسلم بالنساء في خطبة حجة الوداع كما حدث سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ فَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قِصَّةً فَقَالَ أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ "3 وعوان أي أسيرات،وكثراً ما حث صحابته على التخلق بهذه الأخلاق الكريمة.

مع صفة هذا الضعف التي لزمت المرأة، لكن رفع المصطفى صلى الله عليه وسلم من قدر المرأة عندما قال:" إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة "[4]

كما صانت السنة النبوية الشريفة كامل الحقوق المادية والمعنوية للمرأة ، ونهت عن هضم حقوقها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يَفْرَك مُؤْمنُ مُؤْمِنَةً إن كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضَىَ مِنْهَا آخَرَ أوْ قَالَ غَيْرَهُ " [5]

لقد ضربت المرأة منذ فجر الدعوة الإسلامية أروع الأمثال في التضحيات ولنا في أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد أعظم قدوة في نصرة الدين الإسلامي؛ مادياً ومعنوياً، ونالت شرف الأسبقية فضلاً

---

1 سنن ابن ماجه كتاب الأدب باب حق اليتيم ، حديث رقم 3678 (في الزوائد: المعنى أحرج عن هذا الإثم. بمعنى أن يضيع حقهما. واحذر من ذلك تحذيراً بليغاً. وأزجر عنه زجرا أكيدا. قاله النووي. وإسناده صحيح، رجاله ثقات).

2 أخرجه البخاري في صحيحه باب فضل من يعول يتيماً حديث رقم 5659

3 سنن الترمذي كتاب الرضاع باب ما جاء في حق المرأة على زوجها حديث رقم 1083 قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ومعنى قوله عوان عندكم يعني أسرى في أيديكم .

4 صحيح مسلم كتاب الضعيفة حديث رقم5177 .

5 صحيح أخرجه مسلم وأحمد عن أبي هريرة إلا أنهما قالا (كره) مكان (سخط).

عن الالتزام على ذلك النحو من العمق والاندفاع . سمية بنت عمار التي عرفت حجم التضحية فجادت بروحها رخيصة في سبيل نُصرة الله ورسوله الكريم؛ فكانت أول شهيدة في الإسلام.

5. الفقراء والمساكين:

المسكين هو الفقير المعدم، الذي أسكنه الفقر والفاقة، وعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله:" لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذي تَرُدُّهُ التّ ّمْرةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلا اللُّقْمةُ وَاللُّقْمَتَانِ إِنْما المِسْكِينُ الَّذي يَتَعفَفُ اقرؤوا إن شئتم [لا يسألون الناس إلحافا] "[1] وفي الصحيحين " لَيْسَ المِسْكينُ الَّذي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدَهُ اللُّقْمةُ وَاللُّقْمَتانِ وَالتَّمرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَكْنَّ المِسْكينَ الَّذي لاَ يَجِدُ غَنىً يُغْنِيهِ وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ فَيَتَصدَّقَ عَلَيْهِ وَلا يَقُومُ فَيسْألَ النَّاسَ "[2] وهذا ما كان من أمر أهل الصفة. وامتد حرصه على هذه الفئة المستضعفة حتى أنه نهى السيدة عائشة رضي الله عنها أن لا تطعمهم مما لا يأكلون إذ قالت :" أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَبٍّ فَلَمْ يَأْكُلْهُ وَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُطْعِمُهُ الْمَسَاكِينَ قَالَ لَا تُطْعِمُوهُمْ مِمَّا لَا تَأْكُلُونَ" [3]

حب المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للفقراء والمساكين يتجلى في دعائه لله تعالى أن يحشره معهم كما حدث أبو سعيد الخدري قال : " أَحِبُّوا الْمَسَاكِينَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ " [4]

كان الصحابة رضوان الله عليهم يقتدون بنبي الرحمة فقد بلغ من شدة تعلق جعفر بن أبي طالب بالمساكين حتى كناه الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي المساكين، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه كَانَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْنِيهِ أَبَا الْمَسَاكِينِ " [5]

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلِيه وَسَلَمْ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ المشْرِكُونَ للنَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلمْ: " اطْرُدْ هَؤُلاء لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٍ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلال

---

1 صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد من طرق عدة عن أبي هريرة والسياق للبخاري

2 الحديث أخرجه رياض الصالحين: محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي باب ص / 108 حديث رقم 5/ 266.

3 مسند أحمد كتاب باقي مسند الأنصار رضي الله عنهم باب حديث السيدة عائشة رضي الله عنها حديث رقم 23593 .

4 سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب مجالسة الفقراء حديث رقم 4116 .

5 سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب مجالسة الفقراء حديث رقم 4115

وَرَجُلانِ لَسْتُ أُسَمِّيهُمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَّيهِ وَسَلَمْ مَاَ شَاءَ أَنْ يَقَعَ فَحَدَثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالى: { ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} [1]

لقد اشمئز كفار قريش من هؤلاء المستضعفين ، وحاولوا أن يحولوا بينهم وبين رسول الرحمة، ويكون مهر هذا الإبعاد مجالستهم ومحادثتهم له صلى الله عليه وسلم. ولكن هيهات لهم ذلك و هو القائل " إن الله يحب المؤمن إذا كان فقيراً متعففا " [2] .وبلغت مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم لمشاعر هذه الفئة وأحاسيسهم أن غضبهم يكون سبباً ومدعاة لغضب الله تعالى كما حدثنا عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو؛ " أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ قَالُوا لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي " [3]

6. ابن السبيل

هو المسافر الذي تقطعت به الأسباب،ونفذت أمواله، وتعطلت راحلته، أوسيلة نقله، ولا يملك شيئاً لإصلاحها؛ وإن كان غنياً في بلده.

خلاصة القول: أن الإسلام رغب في مساندة الضعيف ومساعدته، كما حث على نصرة في حالتي السلم والحرب، ومن هديه صلى الله عليه وسلم أنه تبرأ من كل من كلف ذمياً فوق طاقته؛ ولم يكن الأمر مقصورا على من كانوا يستظلون بظل الإسلام، بل تجاوزهم إلى غيرهم من الكفار كما حدث في مدة الموادعة بين المسلمين وبين قريش فقد بلغه أن قريشاً ألمت بهم أزمة طاحنة فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن حرب ـ الذي كان زعيم الشرك يومئذ ـ بخمسمائة دينار ليفك بها حاجة فقراء قريش.

حكي سيرته العطرة ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يؤيد كل حلف يكون أساسه نصرة الضعيف، كما كان من أمر حلف الفضول الذي تعاهدت فيه طائفة من قريش على نصرة المظلوم ما رسا ثبير وحراء، ولقد ذكره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن أقام دولة الإسلام، فقال: " لقد حضرت في بيت عبد الله ابن جدعان حلفا ما يسرني به حمر النعم، ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت" 4.

---

1 رياض الصالحين ،باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة حديث رقم 258.

2 المعجم الكبير للطبراني18 / 286 وكنز العمال 1649.

3 صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل سلمان و صهيب وبلال حديث رقم 4559.

4سيرة ابن كثير: ج1/ 258

المحور الثالث

النصرة والرزق بالضعفاء

أسباب النصرة كثيرة ومتعددة ، والمدد الإلهي للعباد على قدر صدق نواياهم ، والرزق مظهر من مظاهر النصرة؛ لذا كان توفيق الله تعالى لعباده ورزقهم مرهون ومشروط بإخلاص النية وصفاء الطوية، وصدق التوجه لله تعالى؛ فهذه الفئة وإن كانوا قلة، وأكثرهم من المستضعفين؛ لكن كان لهم عظيم الأثر في نصرة الإسلام والذب عن محارم الله تعالى ونصرة نبيه الكريم ، فقد أيقظ فيهم الإسلام الشعور بالقيم الإنسانية؛ التي صودرت منهم، أو سلبت منهم غصباً، فجاء الإسلام ورد إليهم كرامتهم وإنسانيتهم؛ فرفعهم الله تعالى بإيمانهم؛ فضربوا أحسن الأمثلة في الصبر، وتحمل الأذى والثبات على دين الحق، فضلاً عن ذلك فقد وهبهم الله تعالى الاطمئنان مما جعلهم يستبشرون بمستقبل مشرق مضيء لهذا الدين الجديد ،فعملوا من أجل هذا الهدف النبيل. إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ."[1]

فالضعيف إذا رفع يديه إلى السماء يستجاب له، وإذا استغفر ربه غفر له، وإذا استنصره نصره، وحباه الله تعالى بهذه المنح الربانية العظيمة، لأن منكسر القلب ، دامع العينين، ولا يعرف التكلف إليه سبيلا ، وكل ضروب الجبروت والصلف لا يعرفها ، فالضعيف غلفه الله تعالي بسياج منيع ضد كل هذه المنزلقات.وقد عاقب الله عز وجل بني إسرائيل ؛ لأنهم كانوا يعاملون الضعيف معاملة، ويعاملون القوي معاملة أخرى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " [2]

إذاً النصرة التي أجراها الله تعالى على يد هذه الفئة المستضعفة تكون بالدعاء الخالص لله تعالى والتضرع له كذلك بالصلاة ثم تغلف كل هذه الأعمال بإخلاص النية وصدق التوجه لله تعالى .

فقد أكد المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لا يرد دعوة الرجل الأشعث الأغبر فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره".[3] وفيما يلي بعض أسباب النصرة والرزق: .

1. النصرة :

---

1 سنن النسائي كتاب الجهاد باب الاستنصار بالضعيف حديث رقم 3127.

2 سنن الترمذي كتاب الحدود باب كراهية أن يشفع في الحدود حديث رقم 1350.

3 باب فضل الضعفاء والخاملين حديث رقم 2622.

تكون نصرةُ المسلم لدين الله قولاً وعملاً، مع تمام الاعتقاد والدعوة الصادقة للدين الحنيف وذلك بالتزام أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ... ﴾ [1] فإذا لزم المؤمن جانب الله تعالى أيده بكل أسباب النصر المادية، والمعنوية، ومن أبرز ملامح النصرة المعنوية ما كان على المستوى الفردي؛إذ شعر المسلم بلذة الإيمان وحلاوته؛ مما جعله يحس بالفارق الشاسع بينه وبين عبدة الأصنام، بل التمييز عليهم ؛ فولد هذا الإحساس داخل النفس المسلمة التي آمنت بالله رباً وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبياً ورسولا، الطمأنينة وولدت الطمأنينة بداخله قوة خفية فجرت كل طاقات التحدي فانطلق داعياً من أجل هذه العقيدة السامية بل جاد بنفسه رخيصة فدى لله ولرسوله الكريم.

ومن أعظم أسباب النصرة ومتطلباتها التجمل بالصبر؛مع طمأنينة النفس والسكينة قال تعالى ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [2]

وهذا ما نستفيده من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا "[3] وفي حديثه صلى الله عليه وسلم لابن عمه عبد الله بن عباس " النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا ، وإن مع العسر يسرا " [4].

وسوف أتناول فيما يلي بعض النماذج المستضعفة والدور الذي قامت به، والكيفية التي نصرت بها دين الله تعالى.السكينة:

1. النصرة بغير المسلمين

الكفر أو عدم الإسلام ضرب من ضروب الضعف؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ؛وعلى الرغم من كل مظاهر الجبروت التي كان يتمتع بها الكفار؛ إلا أنهم أذلة بسبب كفرهم، وتجلت قدرة الله تعالى في أن ينصر دينه بغير المسلمين الذين أحسوا بفطرتهم السوية أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حق؛ ولكن أخذتهم العزة بالأثم، وكابروا وعاندوا ولم يتبعوا الدين الجديد؛ ومن أعظم صور النصر الذي أجراه الله تعالى على يد غير المسلمين حماية أبي طالب لابن أخيه اليتيم محمد بن عبد الله بن عبد المنطلب؛ فقد مُنع الرسول صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب الذي كفله بعد جده عبد المنطلب؛ ولم يكن العم

---

1 سورة الحج آية / 40

2 سورة الفتح آية / 18

3 أخرجه أحمد في مسنده 2/2

4 انظر المشكاة 5302. وتخريج السنة 316 - 318.

الوحيد للرسول صلى الله عليه وسلم؛ حتى يكون موقفه في نصرة ابن أخيه بسبب أواصر القربى أو لدواعي العصبية، وربما يكون مصدره إحساس العم باليتم الذي نشأ فيه ابن أخيه؛ لذا كان يحبه ويفضله على بعض أولاده، ويقول في ذلك :.

والله لـــن يصـــلوا إليـــك بجمعهـــم حـــتى أوســـد في الـــتراب دفينـــا

فأمضـــي لأمـــرك مـــا عليـــك غضاضـــة أبشـــر وقـــر بـــذاك منـــك عيـــونا [1]

فضلاً عن ذلك فقد كان أبو طالب على قناعة تامة بصدق ابن أخيه؛ لذا ترك بصماته واضحة في مسيرة الدعوة الإسلامية خاصة فيما يتعلق بالفترة التي سبقت الهجرة إلى المدينة المنورة .

كذلك من صور النصرة بغير المسلمين، موقف ابن الدغنة الذي لعب دوراً مهماً وإيجابياً؛ وهو في قمة جاهليته، ولا يعرف غير دين اللآت والعُزى؛ فقد أجار أبا بكر الصديق عندما أراد أن يفر بدينه إلى بلاد الحبشة؛ فقد أبت عليه مكارم أخلاق الرجل الجاهلي على ابن الدغنة أن يترك أبا بكر الصديق يفر بدينه ؛ فأجاره كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها: " لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَأَنَا لَكَ جَارٌ ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ... 2"

2. التمكين والنصرة بالهجرة

لابد من وقفة للتأمل في الغاية والهدف من مشروعية الهجرة في الإسلام؛ فهي لم تكن تعني بأي حال من الأحوال الانسحاب، أو الفرار من الأذى والاضطهاد، ولكنها في حقيقته الأمر كانت قمة الجهاد والمجاهدة؛ لتغيير واقع أليم،أصبح الضعف هو السمة الغالبة عليه؛ فكان لابد من تجاوز حالة الضعف والاستضعاف لتحقيق العديد من الأهداف. ومن أهم الأهداف الايجابية التخطيط والرؤى المستقبلية حتى تخرج الدعوة المحمدية من نطاق جزيرة العرب الضيق إلى العالمية؛ ولا يتم لها ذلك إلا بكسر كل أسوار الحصار المادي والمعنوي.

---

1 مواقف إنسانية في السيرة النبوية : عبد الله نجيب سالم مكتبة دار حواء، ط1 1994م / 27.

2 صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حديث رقم2134.

إذاً كانت الهجرة ضرب من ضروب النصر التي منَّ الله بها على هذه الفئة المجاهدة المحتسبة لله تعالى، فقد أذن لهم الرسول صلى الله عليه بالهجرة إلى بلاد الحبشة فراراً بدينهم؛ عندما تمادت قريش في التنكيل بهم ، فقد وجدوا من نجاشي الحبشة ذلك الملك العادل كل إكرام، وحسن وفادة . عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورأوا من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم وكان صلى الله عليه وسلم في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه . فخرجنا إليها أرسالاً ، حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار ، أَمِنا على ديننا ولم نخش منه ظلم"1

أعز الله تعالى هؤلاء المجاهدين ونصر من نصروه؛ إذ باءت كل محاولات قريش بالفشل لأنهم حاولوا أن يوغروا صدر النجاشي ضد هذه الفئة التي فرت بدينها واستجارت به ، ورفض تسليمهم بقوله: "لا والله، إذاً لا أسلّمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عمّا يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلّمهم إليهما، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني".2

عندما أذن اله تعالى لنبيه الكريم بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فقد كان المسلمون على موعد بنصر الله تعالى وتمكينه لهم ، وأولى ملامح هذا التمكين والنصر أن الدين الإسلامي انطلق من حيز السرية إلى العلنية فعم نوره الآفاق، وتم تأسيس أول حكومة إسلامية؛ وهكذا نُصرت الدعوة الإسلامية لأنها وجدت في المجتمع المدني ما افتقدته في المجتمع المكي الوثني. وما يسترعي الانتباه أنَّ معظم المهاجرين كانوا من أبناء الأسر العريقة ؛وهذا مؤشر واضح، وصريح أن ضعف هذه الفئة نتج من الضغوط التي كانت تمارس ضدهم؛ حتى يتخلوا عن دينهم .ومن ناحية رداً على من ادعى أن أتباع دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا من الأقليات المستضعفة من فقراء ومساكين وعبيد وغرباء .

دور الأسير في النصرة

في معركة بدر سن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنة مهمة في فداء الأسرى ، وهي أن يؤدي من ليس لديه مال خدمة مناسبة للمجتمع المسلم يقدر عليها الأسير، ويحتاج إليها المسلمون، ومن أجل

---

1 رواه ابن اسحق في السير والمغازي : ص (213) حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن ..عن أم سلمة وهو في سيرة ابن هشام ـ إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها مسندا (1 / 357)ورواه البيهقي في سننه ،كتاب السير ، باب الإذن بالهجرة 9 / 9.

2 مواقف إنسانية في السيرة النبوية : عبد الله نجيب سالم مكتبة دار حواء، ط1 1994م / 27.

هذا شرع الرسول الكريم لمن كان يعرف الكتابة من أسرى المشركين أن يكون فداؤه تعليم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة. ولم يخش النبي صلى الله عليه وسلم على أبناء المسلمين من تأثير هؤلاء المشركين على عقول الصغار من أبناء المسلمين، فإن تعليم مباديء القراءة والكتابة ليس بالضرورة أن يحمل معه أي أفكار هدامة؛ فضلاً عن ذلك كانوا على مسمع ومرأى منه صلى الله عليه وسلم. وكان النصر الإلهي على يد هؤلاء المستضعفين من الأسرى وقد كان زيد بن ثابت الأنصاري كاتب الوحي، وأحد كتبة المصحف الإمام بل قائد المجموعة أحد الذين تعلموا الكتابة في هذه الفرصة، وبهذا كان النبي الأمي أول من حارب الأمية بطريقة عملية، تعتبر خطوة سباقة في ذلك الزمن البعيد.

3. الدعاء والتضرع لله تعالى

كثيراً ما كان يتم النصر عن طريق الدعاء والتضرع، كما حدث يوم بدر فقد روي ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : اللهم انجز ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ! فما زال يهتف بربه ماداً يديه ، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم إلتزمه من ورائه ، وقال يا نبي الله كذلك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك! فأنزل الله عز وجل ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ 1. إذاً الدعاء سبب من أسباب النصرة بل هو المشعل الذي يضيء الدروب لكل مكروب." هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم " ،أي بدعوتهم وإخلاصهم لأن عبادة الضعفاء أشد إخلاصاً لخلاء قلوبهم عن التعلق بالدنيا وصفاء ضمائرهم مما يقطعهم عن الله فجعلوا همهم واحداً فزكت أعمالهم وأجيب دعاؤهم وبين قوله بدعواتهم أنه لا يلزم من الضعف والصعلكة عدم القوة في البدن، ولا عدم القوة في القيام بالأوامر الإلهية فلا يعارض الأحاديث التي مدح فيها الأقوياء إن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

4. النصرة باليتيم

أجرى الله تعالى على يد اليتيم الضعيف ـ الذي يزدريه بعض الناس ويفرد إفراد البعير الأجرب عن مجالس علية القوم وولائمهم وموائدهم ـ عدداً من آليات النصر، وأيده بقوته حتى يؤكد لنا أن قوة اليتيم تكمن في ضعفه، أو ضعفه مصدر قوته، وهذا الضعف الذي غلفه من الخارج ما هو إلا محك لاختبار

1 سورة الأنفال آية / 9

قوة وعزيمة وصبر من يدعي القوة والعزة، واقتطف جزئيات بسيطة من ملامح نصرة اليتيم لمن والاه بالرفق واللين واهتم بشؤونه ومنها :.

أ. المغفرة :

بينت السنة النبوية الشريفة أن جزاء كل من يقوم على أمر اليتيم المغفرة؛ فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ مر بقبر يعذب صاحبه ، ثم مر به من قابل ، فإذا هو ليس يعذب فقال : يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب ، ثم مررت به العام ، فإذا هو ليس يعذب فأوحى الله عز وجل إليه : يا روح الله . . . أنه أدرك له ولد صالح ، فأصلح طريقاً ، وأوى يتيماً ، فغفرت له بما عمل ابنه[1].

فقد غفر الله لعبده المعذب لأنه أدرك له ولد صالح ، فأصلح طريقاً يمر به الناس ، وأوى يتيماً صغيراً لا كافل له ، فمنحه من عطفه ما أنساه مرارة اليتم، فكان جزأوه من الله النجاة من عذاب القبر؛ و بذلك قطف ثمار تربيته لذلك الولد.

ب. كفالة اليتيم توجب الجنة

بشرط توفر الشروط الآتية:

أـ تقوى الله لقوله :" كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ إِذَا اتَّقَى اللَّهَ وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى "[2]

ب ـ العمل الصالح : أي الالتزام بالأوامر والابتعاد عن النواهي " من تكفل يتيما له أو لغيره وجبت له الجنة، إلا أن يكون عمل عملا لا يغفر له " [3]

قوله " صلى الله عليه وسلم: " أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ إِذَا اتَّقَى وَأَشَارَ بِإِصْبُعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ" [4] وفي رواية أخرى اشترط هذه الكفالة بتقوى الله أي إذا رعاه كما ينبغي ويجب " و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ.[5] وقوله كذلك :" من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنة كهاتين " [1]

---

1 سفينة البحار: مادة (يتم).

2 مسند أحمد كتاب باقي مسند المكثرين باب باقي المسند السابق حديث رقم 8526

3 رياض الصالحين :باب ملاطفة اليتيم حديث رقم 137.

4 موطأ مالك كتاب الجامع باب السنة في الشعر حديث رقم 1492

5سنن ابن ماجة كتاب الأدب باب حق اليتيم حديث رقم 3679 (وذكر صاحب الزوائد: في إسناده يحيى بن سليمان، أبو صالح. قال فيه البخاري: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث. وذكره ابن حيان في الثقات. وأخرج ابن خزيمة حديثه في صحيحه، وقال: في النفس من هذا الحديث شيء، فإني لا أعرف يحيى بعدالة ولا جرح.

ج . **الإكرام وعلو الشأن:**

يرفع الله تعالى قدر الناس ويعلو من شأنهم حسب أعمالهم مع صدق التوجه واحتساب الأجر والثواب، ومن موجبات رفع شأن المسلم إكرام اليتيم روى أَبِو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ" [2] ، إذاً كفالة اليتيم سبب من أسباب الرفعة في الدنيا فضلاً عما يدخره الله تعالى من الأجر والثواب في الآخرة.

د . **نيل المراد وبلوغ الحاجات:**

عندما تتجاوب المشاعر الإنسانية مع الطفل الذي فقد حاديه عندئذ تهتز القلوب المتحجرة، وترنو نحو ملاطفة اليتيم والتبسط معه، ومؤانسته، ومجالسته ورحمته، فيدخر الله تعالي هذا التجاوب رحمة ورزقاً لفاعله بل مسح رأسه مدعاة لإزاحة جفاف الطبع وفظاظة القلب نعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ لَهُ:" إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ" [3] .

7. الدور الإيجابي للمرأة المسلمة

من النصرة التي أجراها الله تعالى على يد المرأة؛وهي الإنسان الذي خلقه الله تعالى من ضلع أعوج وطبيعتها الضعف وقلة التحمل؛ لكن بفضل صدق إيمانها فقد لعبت دوراً مشرفاً طيلة مسيرة الدعوة الإسلامية، وهبت نفسها ومالها ووقتها في سبيل الله تعالى، ولم تكن مساهماتها مقصورة على مجال محدد؛ بل ساهمت في كل مجال، خاصة المجالات التي تتناسب مع طبيعتها الأنثوية،وطيلة مسيرة الدعوة المحمدية وقفت المرأة مواقفاً مشرفة وعظيمة، فقد جاهدت بمالها كما رأينا من موقف السيدة خديجة بنت خويلد التي نصرت الإسلام بمالها؛ فضلاً عن مساندتها للرسول صلى الله عليه وسلم المعنوية، ولا يمكن أن يغفل دور المرأة ومساهمتها بنصرة الإسلام،والقيام بأمر الدعوة وتطوعها في مجال الخير والصدقة ومساعدة المحتاجين ، فهذه زينب بنت جحش . أم المؤمنين رضي الله عنها . لم تترك درهماً ولا ديناراً؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق بكل ما يتيسر لها،وكانت مأوى المساكين وشهدت لها السيد عائشة بذلك: "...

وإنما خرجت خبره لأنه يختلف العلماء فيه. قلت: قد ظهر للبخاري وأبى حاتم ما خفي على ابن خزيمة، فجرحهما مقدم على من عدله).

1 رياض الصالحين: باب ملاطفة اليتيم حديث رقم 137.

2 سنن ابن ماجة كتاب الأدب باب حق اليتيم حديث رقم 3669.

3مسند أحمد كتاب باقي مسند المكثرين باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه حديث رقم 7260.

وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ وَأَتْقَى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ ... " [1]

عملت المرأة كذلك في مجال التمريض حيث كانت تداوي الجرحى، وخيمة رفيدة الأنصارية التي نصبت لها في مسجده صلى الله عليه وسلم أكبر دليل وشاهد على ذلك ، وعندما أصيب سعد بن معاذ في غزوة الخندق أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أشار إلى أصحابه أن يجعلوه في خيمة رفيدة حتى يتمكن من عيادته.وتقديراً لدورها في هذه المعركة فقد أسهم لها المصطفى صلى الله عليه وسلم بسهم رجل مقاتل .

كما ساهمت الربيع بنت معوذ في ميادين الحرب بسقاية الجند، وطبخ الطعام لهم، وحرس أمتعتهم، كما كانت تقوم بنقل الشهداء، والجرحى إلى ذويهم، وحكت تجربتها بقولها : " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسْقِي وَنُدَاوِي الْجَرْحَى وَنَرُدُّ الْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ " [2] ويوم أحد برز اسم ممنة بنت حجش التي تطوعت بسقاية الجرحى لنصرة دين الله تعالى، أما سنان الأسلمية فقد لخصت تجربتها في غزوة خيبر بقولها : لما أراد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخروج إلى خيبر جئته فقلت : يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا ؟ أفرز السقاء ، وأداوي المريض والجريح ، إن كانت جراح ، ولا تكون ، وأبعد الرحل ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخرجي على بركة الله ، فإن لك صواحب قد كلمتني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم ، فإن شئت فمع قومك ، وإن شئت فمعنا ، ومعك ، قال : فكوني مع أم سلمة زوجتي ، قالت فكنت معها .

لم تتوانى المرأة المسلمة من نصرة دين الله تعالى بسيفها البتار وضربت أروع الأمثلة في حصد رؤوس الأعداء، وكان لها صولات، وجولات في ميادين الحرب ، الشواهد على ذلك كثيرة؛ نقتطف منها دور صفية بنت المطلب عندما أحبطت خطط بنو قريظة يوم الخندق، وحمت ظهر الإسلام عندما أرسل بنو قريظة العيون.ومن هذه المشاهد موقف أم عمارة عندما حمي الوطيس إذ تقول: " خرجت أول النهار إلى أحد ، وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما أنهزم المسلمون أنحزت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقمت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسيف وأرمى القوس ، حتى خلصت الجراح إلي "[3]. ولم يمنع وهن الحمل ومشقته أم سليم (الرميصاء بنت ملحان) أم أنس بن مالك من المشاركة مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في القتال وكانت حاملاً بولدها عبد الله بن

---

1 سنن النسائي كتاب عشرة النساء باب حب الرجل بعض نسائه من بعض حديث رقم 3883.

2 صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب مداواة النساء الجرحى في الغزو حديث رقم 2669

3 حياة الصحابة : محمد يوسف الكاندهلوي باب قتال النساء في الجهاد في سبيل الله حديث رقم 1028.

زيد وقد حزمت على وسطها خنجراً، فلما سئلت عن ذلك ، قالت اتخذته إن دني من أحد من المشركين بقرت بطنه " [1]. ولم يفت شرف القتال أم عطية الأنصارية : " غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ فَأَصْنَعُ لَهُمْ الطَّعَامَ وَأُدَاوِي الْجَرْحَى وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى ".[2]

في دار السلم جندت المرأة المسلمة نفسها لخدمة بيت الله تنظفه وتعتني به كما كان من أمر المرأة التي كانت تكنس المسجد ففقدها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فسأل عنها ، فقالوا : ماتت وحدث أَبُو أُمَامَةَ بْنُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ عنها، قَالَ : اشْتَكَتْ امْرَأَةٌ بِالْعَوالِي مِسْكِينَةٌ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُمْ عَنْهَا وَقَالَ إِنْ مَاتَتْ فَلَا تَدْفِنُوهَا حَتَّى أُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَتُوُفِّيَتْ فَجَاءُوا بِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَامَ فَكَرِهُوا أَنْ يُوقِظُوهُ فَصَلَّوْا عَلَيْهَا وَدَفَنُوهَا بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءُوا فَسَأَلَهُمْ عَنْهَا فَقَالُوا قَدْ دُفِنَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ جِئْنَاكَ فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فَكَرِهْنَا أَنْ نُوقِظَكَ قَالَ فَانْطَلِقُوا فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَشَوْا مَعَهُ حَتَّى أَرَوْهُ قَبْرَهَا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفُّوا وَرَاءَهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا وَكَبَّرَ أَرْبَعًا " 3

لقد لعبت المرأة المسلمة دوراً محورياً وهاماً في نصرة دين الحق، ورفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله وذبت عن محارم الله تعالى مادياً ومعنوياً وكان المصطفى . صلى الله عليه وسلم . يثني على هذه الأفعال الطيبة؛ بل كان يشيد بهن؛ حتى تقتدي بهن الأخريات.

كان يسمى أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث (بالشهيدة) لأنها استأذنته يوم بدر للخروج معه لمداواة الجرحى وتمريض المرضى لعل الله يرزقها الشهادة .

على نهج السيرة العطرة سار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ فقد كافأ امرأةً يقال لها (أم سليط) لأنها كانت قد تطوعت أيام النبي . صلى الله عليه وسلم . بصيانة وخياطة القرب للجيش ، فعن ثعلبة بن أبي مالك إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً . أي أكسية من صوف يؤتزر بها . بين نساء من نساء المدينة ، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . التي عندك (يريدون زوجته أم كلثوم بنت علي) فقال عمر: أم سليط أحق فإنها كانت تزفر (أي تخيط) لنا القرب يوم أحد .

لقد أفسحت السنة الشريفة مجالاً واسعاً للمرأة؛ بل أمنت على الدور الريادي الذي قامت به لنصرة دين الله تعالى، والدفاع عن نبيه الكريم . صلى الله عليه وسلم . فكان من الطبيعي أن تفرد كتب الحديث المختلفة أبواباً تتناول هذه المناقب كصحيح البخاري مثلا (باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال) و(

---

1 الإصابة في تميز الصحابة:ابن حجر العسقلاني ج4/ 461.

2 صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم والنهي حديث رقم 3380 .

3 سنن النسائي كتاب الجنائز باب الصلاة على الجنازة بالليل حديث رقم 1943.

باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو) و(باب مداواة النساء الجرحى في الغزو) و(باب رد النساء الجرحى والقتلى) ونحو ذلك .وقد ذكر ابن الأثير عدداً من هؤلاء، النسوة، (لإرغامهن على الرجوع، عن الإسلام، ومنهن من فقدت البصر[1]؛وهن في الغالب جاريات لبني عبد الدار، وعدي وزهرة من بطون قريش[2] أي من الشريحة التي، ينتمي إليها عمار بن ياسر ورفاقه .

8. ريادة أولي الضرر

لم يمنع الضرر العضوي عبد الله بن مكتوم من نصرة دين الله وهو الرجل الأعمى الذي أنزل الله تعالى في حقه ستة عشرة آية تبين عذره؛ لكنه جاهد في سبيل الله حق جهاده ونصر الإسلام مادياً ومعنوياً، فكان مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم للصلوات، عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "كَانَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ يُؤَذِّنُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَعْمَى "[3] كما كان يتعاور الآذان وإقامة الصلاة مع بلال،فضلاً عن ذلك فقد بلغت به الهمة العالية أن يوقظ المسلمين في رمضان للسحور ، وعندما استقر به الحال بالمدينة المنورة أصبح معلماً لكتاب الله تعالى ومفقهاً للناس في أمور دينهم ، ومن مناقبه كذلك فوزه بقصب السبق عندما أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته الكرام بالهجرة إلى المدينة ، ففر بدينه من مكة إلى المدينة ، عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا الْقُرْآنَ ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَاءَ فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا "[4]، لذا كان يدنيه الرسول صلى الله عليه وسلم منه، ويكرم وفادته عليه وأكبر دليل على هذا الإكرام أن الرسول صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة مرات عديدة؛ من بينها يوم خروجه لفتح مكة.

كانت نفسه تواقة لساحات الوغى وكان يقول :" ادفعوا إِليَّ اللواءَ، فإِني أَعمى لأَستطيع أَن أَفِرَّ، وأَقيموني بين الصفين. [5]

أما عمرو بن الجموح فكان يطمع في الشهادة وقاتل يوم أحد برجله العرجاء فقال صلى الله عليه وسلم "كأني أنظر إليه يمشي برجله هذه صحيحة في الجنة ... "[6]

---

1 الكامل :ابن الأثير، ج2/ 69 (زنيرة وهي جارية لبني عدي).

2 المصدر نفسه، ج2/ 69 ، وكتاب الطبقات، ج3/ 250.

3 صحيح مسلم كتاب الصلاة باب جواز أذان الأعمى إذا كان معه بصير حديث رقم 574.

4 صحيح البخاري كتاب المغازي والسير باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة حديث رقم 3710.

5 صحيح البخاري كتاب مناقب ابن مكتوم البخاري حديث رقم 2684 .

6 رواه أحمد في مسنده وفي مجمع الزوائد 9 / 315.

9. تسخير العلم لنصرة دين الله

شب زيد بن ثابت وهو يحفظ كتاب الله، ويرتله بوعي وفهم تامين، فضلاً عن ذلك فقد كان يجيد القراءة والكتابة، وكانت نفسه الغضة الطرية تتوق لنيل شرف الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم في أول غزوة يغزوها، لكن حال صغر سنه دونه ودون الجهاد بسيفه؛ لكنه جاهد بقلمه؛ إذ تعلم كتابة اليهود تلبية لرغبة الرسول صلى الله عليه وسلم :" عن خارجة بن زيد عن أبيه قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ أتي بي إليه ، فقرأت عليه ، فقال لي :" تعلم لي كتاب يهود ؛ فإني والله ما آمن يهود على كتابي ،قال : فتعلمته ، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب لرسول صلى الله عليه وسلم إذا كتب إليهم ، وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه " [1]

فأكب من ساعته على لغة اليهود وأجادها وأصبح ترجماناً للمصطفى صلى الله عليه وسلم إذا كتبوا له أو كتب لهم.كما تعلم السريانية ، وشرف الله تعالى هذه النفس الوثابة للمعالي عندما ائتمنه المصطفى صلى الله عليه وسلم وجعله كاتباً للوحي، ورفعه الله تعالى بالقرآن ونفعه به إذ صار المرجع الأول لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يرسل جماعة من أصحابه إلى الأمصار المختلفة من أجل العلم.

10. الخدم والعبيد والموالي في الصدارة

هذه الفئة من المجتمع قد نالت حظاً وافراً من رحمته صلى الله عليه وسلم،وعنايته، فأعاد إليهم الإسلام إنسانيتهم المسلوبة وكرامتهم المغتصبة ورد عليهم آدميتهم، عن الْمَعْرُورَ بْنَ سُوَيْدٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ " [2]

ترجمت السيدة عائشة رضي الله عنها حسن معاملته صلى الله عليه وسلم بهذه الشريحة الضعيفة في قولها :" ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً ولا امرأةً قطُّ " [3]

لقد بشر المصطفى صلى الله عليه وسلم فقراء المهاجرين بالجنة ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَلْقَةٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ قُعُودٌ إِذْ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ إِلَيْهِمْ فَقُمْتُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ لِيُبْشِرْ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ بِمَا يَسُرُّ وُجُوهَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ

---

1 كنز العمال/ 5/ 185 وأخرجه ابن سعد 4/ 174 (وسنده صحيح)

2 صحيح البخاري كتاب العتق باب قول النبي صلى الله عليه وسلم العبيد حديث رقم 2259

3 سنن أبي داود كتاب الأدب باب التجاوز في الأمر حديث رقم 4786

الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِأَرْبَعِينَ عَامًا قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَلْوَانَهُمْ أَسْفَرَتْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ "1

5. النصرة بالجهاد

قال صلى الله عليه وسلم: " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَجْرَى عَلَيْهِ أَجْرَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ وَأَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَأَمِنَ مِنْ الْفَتَّانِ وَبَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا مِنْ الْفَزَعِ "2 .ولا يقف حد النصرة في الحياة الدنيا فقط إذ تمتد إلى الحياة الأخرى لقوله صلى الله عليه وسلم: "أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ مُرَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أُجْرِيَ لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا فَهُوَ يَدْعُو لَهُ " 3

6. النصرة بالشيوخ

المجتمع في نظر الإسلام مجتمع متكامل؛ يقوم على الروابط المتينة بين جميع أفراده ، وتلعب العلاقات الاجتماعية دوراً كبيراً في توطيد أواصر المحبة؛ التي تبدأ بإفشاء السلام واحترام شخصية الفرد ، صغيراً كان، أم كبيراً ،لذا أولى الإسلام كبير عنايته بالشيوخ أو المسنين ،واهتم بهم اهتماماً كبيراً قال تعالى﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ 4. وحث المصطفى صلى الله عليه وسلم على تكريم الشيوخ في قوله:" لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا "5

يأتي تكريم الإسلام لهذه الفئة اعترافاً بدورهم في تأسيس أي أمة من الأمم في أي زمان وأي مكان ، بل وضع اللبنات الأولى التي يشب المجتمع على أساسها؛ ومن أجل هذا الهدف النبيل، وما يحمله من قيم معنوية، وترغيباً من مربي البشرية الأول صلى الله عليه وسلم؛ فقد ربط بين إكرام الشيوخ وبين البركة التي تحل على الفرد إذا أدى هذا الواجب على أكمل وجه ومن ثم يعم الخير كل أفراد المجتمع :" لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ قَالَ عَبْد اللَّهِ وَسَمِعْتُهُ أَنَا مِنْ هَارُونَ" 6

---

1 سنن الدارمي كتاب الرقاق باب في دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء حديث رقم 2721

2 سنن ابن ماجة كتاب الجهاد باب فضل الرباط في سبيل الله حديث رقم 2757.

3 سنن أحمد كتاب باقي مسند الأنصار باب حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان حديث رقم 21217.

4 سورة الإسراء آية / 23 .

5 رياض الصالحين باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل حديث رقم 353رواه أبو داود والترمذي ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

6 مسند أحمد كتاب باقي مسند الأنصار باب حديث عبادة بن الصامت حديث رقم 21693.

إذاً إكرام الشيوخ سبب من أسباب البركة، التي تحل بفضل دعواتهم وصلواتهم، والبركة؛ هي الزيادة والنماء وهي ضرب من ضروب الرزق المعنوي .

وزيادة في الترغيب فقد أبعد المصطفى صلى الله عليه وسلم عن حوضه الشريف، وملة الإسلام؛ من لم يحترم الكبير " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا حَدَّثَنَا هَنَّادٌ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ نَحْوَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا "[1] ، واحترام الشيخ من موجبات محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم لأمته ؛ فمن أراد أن يحترم الرسول صلى الله عليه وسلم ويجله ويطيعه فليحترم الشيخ الشيبة " من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم ... "[2].

النصرة بالصبيان

أراد الله تعالى أن يجري بعض ألوان النصرة على يد بعض صبيان المسلمين الذين شمروا عن سواعدهم الغضة ليذودوا عن دين الله تعالى، وينصروا نبيه الكريم؛ لما لمسوه من محبة ورحمة من نبي الرحمة فقد روى أَنَسٍ " مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَلْعَبُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا صِبْيَانُ " 3 ويشهد تاريخ الدعوة المحمدية بأن أول من أسلم من الصبيان كان علي بن أبي طالب، كذلك فقد جندت هذه الفئة نفسها لخدمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن أنس قال : "كان عشرون شاباً يلزمون رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوائجه ، فإذا أراد أمراً بعثهم فيه " [4]

من الأدوار الايجابية مشاركة فتيان الإسلام في الجهاد حتى ضد الكفر والإلحاد؛ ومن بين هذه الملاحم الرائعة المشاهد موقف عمير بن أبي وقاص يوم بدر "كان يتوارى بين الناس وسأله أخوه الأكبر سعد بن أبي وقاص عن ذلك فقال أخاف أن يردني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة وكان كذلك فأراد رسول الله أن يرده لأنه لم يبلغ مبلغ الرجال فبكى عمير ورق قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجازه وقتل شهيداً في الغزوة "[5]

المشاهد التي تثير الإعجاب في نفس الإنسان كثيرة لا نستطيع أن نحصيها عدا ومنها " المرأة التي دفعت إلى أبنها يوم أحد فلم يطق حمله فشدته على ساعده بنسعة ثم أتت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هذا إبني يقاتل عنك ,فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أي بني احمل هاهنا

---

1 سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء قي رحمة الصبيان حديث رقم 1843.

2 رياض الصالحين باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل حديث رقم 352، حديث حسن غريب/ والكافي ج2 / 165.

3 مسند أحمد: كتاب باقي مسند المكثرين باب مسند أنس بن مالك حديث رقم 12429.

4 أخرجه البزاز حديث رقم 2445/ حياة الصحابة للكاندهلوي/ 633.

5 السيرة النبوية : أبو الحسن علي الحسني الندوي ، دار بن كثير ط2، 2001م/ 217

أي بني احمل هاهنا فأصابته جراحة فصرع فأوتي به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " أي بني لعلك جزعت " قال : لا ، يا رسول الله .[1]

عند هجرته الشريفة إلى المدينة المنورة هب الصبيان لاستقباله وهم ينشدون فرحاً بمقدمه الكريم. وهذا النصر الذي حققته هذه الفئات على مختلف ألوان طيفها وتباينها كان القاسم المشترك الأعظم بينهم الضعف؛وعلى الرغم من هذا الضعف والاستضعاف لكن أجرى الله تعالى على أيديهم النصر وساقه إلى هذه الأمة المرحومة كان بسبب العون الإلهي والمدد الرباني .

2. الرزق :

حتى نتمكن من الوقوف على أسباب الرزق؛ لابد من معرفة ماهية الرزق، وضروبه المتباينة. و الرزق ينقسم إلى قسمين رزق مادي، ورزق معنوي؛ ومما يندرج تحت الرزق المعنوي، نور الإيمان والتوكل على الله، إذاً نعمة الإيمان رزق يسوقه الله تعالى لمن يصطفي من عباده ، ومكارم الأخلاق، والبركة في المال، كل هذه المحاور من أهم آليات الرزق؛ حتى أن الزوج أو الزوج الصالح رزق؛ حتى الخادم المخلص المطيع صورة من صور الرزق يسوقه الله تعالى لمن يشاء من عباده ، وكذلك الأبناء والأحفاد، حتى العلم النافع تضمه هذه الخارطة الواسعة ؛ وهو العلم المزكي للقلوب والأرواح ، وكذلك العمل الصالح؛ وهو الذي جمع الإخلاص لله، مع صدق التوجه. والصحة رزق. ومن ضروب الرزق المعنوي كذلك الألفة والترابط بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

الرزق لا ينحصر في العطاء المادي؛ فأشكاله كثيرة وأنواعه متباينة ومتعددة . ولأهمية الرزق المادي في حياة الفرد المسلم، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الإنسان أن يسعى ويكدح ويأخذ بالأسباب من أجله، والجدير بالذكر أن قيمة المال ليست قيمة مادية نهائية متناهية؛ وإنما قيمته فيما يؤديه من وظائف وأعمال دنيوية ودينية؛ فالزكاة طهارة للمال بالمعنى الديني ومن صور الرزق الغنائم التي أحلها الله تعالى لنبيه لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأمته، فعن أبي هريرة قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِمَنْ قَبْلَنَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَطَيَّبَهَا لَنَا"[2].

إذاً لابد من طلب الرزق،كذلك لابد من التجمل في الطلب؛ أي ينبغي للمرء أن يسلك أنفع الأسباب الدنيوية اللائقة بحاله. بل أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نستنزل الرزق بالصدقة .ومن أهم متطلبات الرزق الحلال وأسبابه الإيمان الكامل حيث إن الله عز وجل لا يرزق أحدا إيمانا كاملا إلا كان رزقه كله من حلال.

---

1 المرجع السابق: 308 ـ 309 .

2 مسند أحمد كتاب باقي مسند المكثرين باب باقي المسند السابق حديث رقم 7853.

من أهم مظاهر بركة الرزق أن يوفق الله تعالى عبده لكي يضع هذا الرزق في مواضعه الصحيحة ويصرفه وفق القنوات الشرعية؛ كما يحب الله ويرضي، كذلك من بركة الرزق الطيب أن المسلم لا ينسى الفضل في المعاملة وذلك بإمهال أو إنظار المعسرين، وغير ذلك من ملامح الفضل.

من موجبات الرزق ما يلي:

2. الإنفاق على الفقراء والمساكين

من موجبات الرزق الإنفاق في سبيل الله؛ كان صلى الله عليه وسلم يحثهم على الصدقة ، ولا يكون الإنفاق إلا من ذوي الميسرة لكل الضعفاء الذين سبقت الإشارة إليهم. يخص الله سبحانه تعالى من يصطفي من عباده بالهدايا والمنح؛ ومن بين هذه الهدايا التي يسوقها إلى عبده المؤمن السائل على بابه؛ أي وجود فقير يقف ببابه يسأله شيئاً مما يسر الله تعالى به عليه؛ وذلك لأن الله تعالى دل السائل عليه وأمال قلبه إليه؛ كذلك مجيء السائل نوع من تذكير الله تعالى لمن غفل من عباده بنعمته وفضله عليه؛ حيث جعل غيره أحوج إليه؛ إذاً لابد من قبول هديته بالعطاء بل الإكرام. لقد أصبح هؤلاء الضعفاء القنوات الشرعية؛ التي من خلالها يزكي المسلم ماله أو يتصدق به في سبيل الله ؛ ووعد الله تعالى أن يخلف كل ما ينفقه من مال بل يضاعفه قال تعالى ﴿... وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [1] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي مهما أنفقتم من شيء مما أمركم الله به وأباحه لكم فهو يخلفكم ويخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب وهذا ما كان من أمر الصحابة رضوان الله عليهم أجمين. ووردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة في ذم البخل وعقوبة من لا ينفق ماله في سبيل الله، ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم على البخلاء بالتلف، وعلى المكثرين من جمع المال بالويل والهلاك والعذاب، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا "[2]

جعل صلى الله عليه وسلم الشح من نواقض الإيمان، ومبطلاته فقال عليه السلام: " لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي جَوْفِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ ... "[3]. ومادام كان هذا الإنفاق في سبيل الله ومن أجل الضعفاء والمحتاجين إذاً يكون من أعظم أسباب الرزق؛ لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال" : هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ؛وصيغة الاستفهام التقريري تضم، أو تحمل معنى التوبيخ بين طياتها ؛ والمعنى أن

---

[1] سورة سبأ آية / 39 .

[2] رياض الصالحين باب النفقة على العيال حديث رقم 293.

[3] مسند أحمد كتاب باقي مسند المكثرين باب باقي المسند السابق حديث رقم 9316.

هذه الفئة حباها الله تعالى بالصفاء والنقاء؛ لأنها ابتعدت عن ملذات الدنيا الفانية فهم أشد إخلاصًا في دعائهم ، فضلاً عن ذلك فهم أكثر خضوعًا .

ولابد من الإشارة إلى الراحة النفسية التي يحس من يقوم بهذا الدور العظيم؛ وهذه السعادة ما هي إلا شكل من أشكال الرزق المعنوي.

إطعام الطعام:

من أسباب الرزق بل وسعته إطعام كل الشرائح المستضعفة بفئاتها المتباينة ، وتجدر الإشارة إلى أنَّ الآية الكريمة ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا... ﴾ 1 قد نزلت في حقّ أهل البيت عليهم السلام : كان عند فاطمة عليها السلام شعير فجعلوه عصيدة ، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم ، جاء مسكين ، فقال المسكين: رحمكم الله ، فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثاً ، فلم يلبث أن جاء يتيم ، فقال اليتيم : رحمكم الله ، فقام علي عليه السلام فأعطاه الثلث، ثم جاء أسير ، فقال الأسير: رحمكم الله ، فأعطاه علي عليه السلام الثلث وما ذاقوها ، فأنزل الله تعالى الآية"2

وصى صلى الله عليه وسلم أصحابه بإطعام الطعام " أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَاضْرِبُوا الْهَامَ تُورَثُوا الْجِنَانَ " 3 إذاً من موجبات الجنة إطعام الطعام.

من الفضائل التي يسوقها الله تعالى لمن أدى هذا الفضيلة سرعة الرزق " الرزق أسرع إلى من يطعم الطعام من السكين في الطعام " . و ما يستفاد من هذا الحديث؛ بان إطعام الطعام للعبد الفقير هو غاية الكرم والإحسان. وربما يكون سرعة الرزق للمطعم لتعزيز هذا الخُلق عنده ويأتيه لا عن كلفة وهو يعطي ويطعم برحابة صدر،صبر وفرح فتقوى الرابطة الإنسانية بين بني البشر، وتعزز العلاقة بينهم بما فيه خيرهم وصلاح حالهم .

3. الإحسان إلى الضعفاء

بذل العون لهذه الشريحة، من موجبات الرزق ومفاتيحه،فمن رغب أن يبسط الله تعالى له في رزقه فلا ينسَ الضعفاء والمساكين، فإنما بهم يرزق ويُعطى من فضل الله تعالى، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يقول: " ابْغُونِي ضُعَفَاءَكُمْ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ "4

4. إكرام البنات والإحسان إليهن

---

1 سورة الإنسان آية / 8

2 تفسير نور الثقلين 5: 470، أُنظر مجمع البيان 10: 514 دار إحياء التراث العربي . بيروت)

3 سنن الترمذي كتاب الأطعمة باب ما جاء قي فضل الطعام حديث رقم 1777.

4 سنن الترمذي كتاب الجهاد باب ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين حديث رقم 1624، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"

من موجبات الرزق كذلك حسن تربية البنات وإكرامهن فيما يرويه ابن عباس رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حَدَّثَنَا عُثْمَانُ وَأَبُو بَكْرٍ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ الْمَعْنَى قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ ابْنِ خُدَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا قَالَ يَعْنِي الذُّكُورَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ "[1] إذاً إكرام البنت يكون بحسن تربيتها ورعايتها وهما من موجبات الجنة ،عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ رَجُلٍ تُدْرِكُ لَهُ ابْنَتَانِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ أَوْ صَحِبَهُمَا إِلَّا أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ "[2]

أن حسن تربية البنات تحول بين المرء ونار جهنم لقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ "[3]،فقد راعى الإسلام ضعفها وهو سر قوتها؛ لذا حررها من الوأد ومن كل مظاهر الضعف وأسبابه.

4. الهجرة في سبيل الله

لا يهاجر إلا من ضيق عليه الخناق في دينه ومعيشته، ولما أذن النبي صلى الله عليه للمسلمين بالهجرة إلى بلاد الحبشة من أجل العدل؛ وطمعاً في ممارسة العقيدة بحرية. ثم كانت الهجرة إلى المدينة المنورة، وجاء في سيرة "ابن هشام" أن النبي صلى الله عليه وسلم استقر المهاجرون المسلمون من أهل مكة في المدينة وآخى الرسول بين المهاجرين (من أهل مكة) والأنصار (من أهل المدينة)، قاسم نفر كثيرون من أهل المدينة أولئك المهاجرين أملاكهم وأموالهم في سبيل المصلحة العامة.فقاسم كل مدني غني أخاً له في الإسلام من أهل مكة أملاكه وماله. لقد حث الإسلام على والسعي في أرض الله الواسعة،فما أغلق دونك هنا، قد يفتح لك هناك﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً ﴾[4] كم من الناس تركوا بلاداً، هي أحب البلاد لقلوبهم ولو خيروا لاختاروها على غيرها . لكنه الرزق . فتح الله عليهم في غير أرضهم، وفي غير بلادهم.

---

1 سنن أبي داود في كتاب الأدب باب في فضل من عال يتيماً حديث رقم 4480.

2سنن ابن ماجة كتاب الأدب باب بر الوالد والإحسان إلى البنات حديث رقم 3660 في الزوائد: في إسناده أبو سعيد. واسمه شرحبيل. وهو، وإن ذكره ابن حبان في الثقات، فقد ضعفه غير واحد. ورواه الحاكم في المستدرك. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

3 سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات حديث رقم 1838، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

4 سورة النساء آية / 100.

نتائج الدراسة

1. لقد أحدث الإسلام نقلة عميقة وشاملة، وكانت الطفرة العظيمة والشاملة في عالم العقيدة، إذ تحرر الفرد من عبادة كل ما هو محسوس؛ إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد. وبذا كرم الإسلام الإنسان من حيث هو، و تتجلى سماحة الإسلام في رعاية الشرائح المستضعفة كالعبيد الأرقاء، أو الأيتام أو الضعفاء أو المعوقين أو النساء أو الفقراء وغيرهم.
2. إن عقيدة الوحدانية تجعل الإنسان لا يحتقر الفقير ولا الضعيف ولا المرءوس لأنه وشريكه في العبودية لله ، يرفض الذل، ويأبي كل ضروب الهوان، كما يرفض كل أشكال الظلم؛ فهولا يظلم ولا يُظلم ، حباه الله تعالى بنفس عزيزة في غير كبر وخيلاء، أبيّ في غير عتو ، متواضع من غير ضعة. لا يرضى بالهوان؛ لأنه ينتسب إلى الخالق العظيم، يعمل ويكد في الحياة ويبتغي أن يكون في أعلى مقام .
3. الضعف الذي تعاني منه بعض الشرائح يعزى لعوامل داخلية، وأخرى خارجية، فالإنسان ضعيف ضعف التكوين الجسماني، وضعيف ضعف الاحتياج، وضعيف بالجهل ، وكان هذا الضعف هو نقطة البداية للتنقيب عن القوة ، التي تمكنه من السيطرة على كل مظاهر الطبيعة والساكنة والمتحركة.
4. استجابة الفقراء للدعوة الإسلامية، كان أمراً طبيعياً، نسبة إلى الخلل الذي أصاب معادلة (التكافل) في مكة، وأدي إلى توسيع الثغرة بين شريحتين في المجتمع؛ أقلية فاحشةالثراء، وأكثرية معظمها من موالي قريش، أو البطون، الصغيرة من الأخيرة، وقد تدهورت أوضاعها، الاقتصادية، والاجتماعية، الأمر الذي شجعها على الانخراط في، الدعوة، حيث وجدت في الشريعة الإسلامية موقعاً يضمن لها، العدالة والمساواة .
5. لقد وجه القرآن الكريم سهام نقده للمجتمع الجاهلي ؛ لاستضعافه اليتيم وعدم إكرامه ، والاعتداء على أمواله ، قال تعالى : ﴿..... كلا بل لا تُكرمون اليتيم ﴾ [1]
6. لعبت المرأة، دوراً مهماً وبارزاً منذ فجر الإسلام الأول. فهي أول من أمن بدين محمد وهجر اللات والعزى، بالإسلام(خديجة)، وأول شهدائه (سمية)، وهي حاضرة بين،الرواد (فاطمة بنت الخطاب)، كذلك هي مناضلة في، مقدمةالصفوف، ونالها من التعذيب والاضطهاد، ما نال كبار، المجاهدين من الرجال .
7. اهتمت السنة النبوية الشريفة بالمسلم كإنسان في مجتمعه، ومحاولة التأكيد على الروابط

[1] سورة الفجر / آية 89

الاجتماعية للإنسان الأمر الذي يساعد الفرد على الانتماء للمجتمع ويزيد من صلابة المجتمع.

8. ساوى الإسلام بين المرأة والرجل من حيث الإنسانية ، ففوت الفرصة على كل من يحاول إهانة المرأة وتضييع حقوقها، والتعامل معها بالعنف، قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْس وَاحِدَة وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيراً وَنِسَاءً) . فالعمل الصالح هو المبدأ والأساس في التفاضل بين الناس، كما بيّن صلى الله عليه وسلم عليه أن النساء شقائق الرجال في الأحكام، فكل حق يملكه الرجل تملكه المرأة أيضًا.وكان هذا هو نقطة البداية في تحرير المرأة، فهي تماثل الرجل في حق الحياة، وفي حق الكرامة، وفي حق الحريّة، وهي شريكة له أيضًا في الواجبات. وبذلك أظهر الإسلام حقيقة المرأة واضحة جليّة، فهي إنسان، وعضو في المجتمع له شأنه، وله حقوق وعليه واجبات، وأبطل الإسلام بذلك خرافة العقيدة الجاهلية، التي تتمثّل في أسطورة الخطيئة الموروثة عند الغربيين في النظرة إلى المرأة.

9. إن الإسلام عندما جاء بمبدأ المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات لم يكلّف العبد بأكثر ممّا كلّف به السيد ، ولم يجعل للسيّد من الحقوق ما ليس للعبد، بل الجميع أمام المولى تبارك وتعالى وأمام شريعته سواء، فلم يُفْرَضُ الجهادُ مثلاً على الضعفاء والفقراء وحدهم ، ولم تُرْفَعْ التكاليفُ عن الأغنياء ، ولم يُسْتَثْنَ الشرفاءُ من إقامة الحدود.

10. العمل الصالح هو المبدأ والأساس في التفاضل بين الناس ، وهو الميزان الحق الذي يُوزَن به الناس.إن الإسلام عندما جاء بمبدأ المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات لم يكلّف العبد بأكثر ممّا كلّف به السيد ، ولم يجعل للسيّد من الحقوق ما ليس للعبد، بل الجميع أمام المولى تبارك وتعالى وأمام شريعته سواء، فلم يُفْرَضُ الجهادُ مثلاً على الضعفاء والفقراء وحدهم ، ولم تُرْفَعْ التكاليفُ عن الأغنياء ، ولم يُسْتَثْنَ الشرفاءُ من إقامة الحدود ، ولم يُجْعَلْ غفرانُ الذنوب وقفًا على الأغنياء والموسرين، بل الكل متساوون في الحلال والحرام ، وفي الفروض والواجبات .

11. إن الإسلام هو النظام الوحيد الذي سما بالإنسان وكرّمه ، وأزال الفوارق في الحقوق، وفي المعاملات بين جميع أفراده ، وإن ما تدعيه الأمم الديمقراطية اليوم من أن العالم مدين لها بمبدأ المساواة يناقضها واقعها ، وسياستها ، وقوانينها ، فحقوق الإنسان التي تتصارع الأمم على تنازع شرف وضعها، قد أعلنها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه منذ بدء الدعوة الإسلامية مع تطبيقها، وسار على منواله الخلفاء الراشدون من بعده .

12. وخلاصة القول أن هذا الضعيف المستضعف هو في الغالب أقرب إلى الله تعالى، وأسبق إلى الخير ولو أقسم على الله لأبره بعيد عن الكبرياء الذي هو من شأن المستكبرين في هذه الدنيا الذين هم وقود النار يوم القيامة.
13. كل الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده كان يتبعهم ضعفة الناس، ومن ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي سفيان لهرقل عندما سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم:" فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ ". فالضعيف يدعو ويستغفر ويستنصر، فيستجاب له، وينصر؛ لأنه صاحب قلب منكسر، وعين دامعة، ونفس بعيدة عن التكلف، والكبرياء، والغرور.
14. وفي الختام أرجو أن تتضافر الجهود على كل المستويات والأصعدة لنصرة هذه الفئات الضعيفة المستضعفة، والدفاع عن حقوقهم، أسوة بمعلم البشرية الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كذلك حتى يستفيد المجتمع من قدرات هذه الفئة بعد أن يتم دمجهم وصهرهم في القوالب المجتمعية المختلفة.

ثبت المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

2. كتب الحديث

1. بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني: أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي وهو مطبوع على حاشية الفتح الرباني الطبعة الأولى 1370هـ .
2. التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول : منصور علي ناصف ط4، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة .
3. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي (676هـ) شرح مصطفى محمد عمارة، تاريخ الطبع 1955م ،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
4. سنن أبي داود : أبو داود سليمان الأشعث بن اسحق الأزدي السجستاني ، الطبعة الأولى 1371هـ. 1952م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة .
5. سنن الترمذي : عيسى محمد بن عيسى بن سورة مطبعة الصاوي.
6. سنن ابن ماجة:تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت 1975م.
7. سنن النسائي: بشرح السيوطي وحاشية السندي ، دار إحياء التراث العربي. بيروت
8. صحيح البخاري بشرح فتح الباري: محمد إسماعيل البخاري وهو مطبوع مع كتاب فتح الباري ط1959م القاهرة.
9. صحيح مسلم بشرح النووي : محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المطبعة المصرية ومكتبتها القاهرة .
10. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: البدر العيني، 1399هـ دار الفكر
11. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني : أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ط1 1370هـ. القاهرة .
12. فتح الباري بشرح صحيح البخاري : شهاب الدين أبي الفضل علي بن حجر العسقلاني ، تاريخ الطبعة 1378هـ مطبعة البابي الحلبي وأولاده القاهرة.
13. فيض القدير شرح الجامع الصغير : المناوي ط2 1391هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
14. مختصر صحيح مسلم : زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن سلامة المنذري.

تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ط3 ،1392هـ نشر المكتب الإسلامي ، دمشق.
15. مختصر شرح الجامع الصغير : محمد عبد الرحمن المناوي ط1، 1373هـ. 1954م دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة
16. مختصر الشمائل المحمدية للإمام الترمذي : تحقيق حمزة النشرتي وعبد الحفيظ فرغلي وعبد الحميد مصطفى، د. ت.
17. المسند : أحمد بن حنبل، ط2 1978م ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر بيروت .
18. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار : محمد علي بن محمد الشوكاني الطبعة الأخيرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة

2

.كتب التفسير والسيرة والتاريخ والتراجم

1. أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الحسن علي بن أبي الكرم الشهير بابن الأثير ن دار إحياء التراث العربي بيروت.
2. الإصابة في تمييز الصحابة : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ط1 1328. مطبعة السعادة القاهرة.
3. الأعلام : خير الدين الزركلي ط6، تاريخ الطبع 1984م دار العلم للملايين بيروت.
4. تاريخ الأمم والملوك . الشهير بتاريخ الطبري .:أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار القلم بيروت.
5. تهذب التهذيب :أحمد بن علي بن حجر ، حيدر أباد 1325هـ .
6. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم الأصفهاني ط2 . 1967م دار الكتاب العربي بيروت.
7. حياة الصحابة: محمد يوسف الكاندهلوي ط1، 1968م.
8. الدرر في اختصار المغازي والسير: يوسف بن عبد البر النمري (368 . 463هـ) تحقيق شوقي ضيف تاريخ الطبعة 1386هـ. 1966م ، القاهرة .
9. دلائل النبوة: البيهقي تحقيق عبد المعطي قلعجي ، ط1، 1990م ،دار الكتب العلمية . بيروت
10. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية (لابن هشام) : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الحسن الخثعمي السهيلي (508. 581هـ)

مطبوع مع السيرة النبوية لابن هشام ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة .

11. زاد المعاد في هدي خير العباد : ابن قيم الجوزية تحقيق وشرح شعيب الأرنؤط وعبد القادر الأرنؤط ط11339هـ . 1979م نشر مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة المنار الكويت.
12. السيرة النبوية: ابن هشام تحقيق همام عبد الرحيم سعيد وآخرين ط1 1988م مكتبة المنار، الأردن
13. السيرة النبوية : ابن كثير (701. 774هـ) تحقيق مصطفى الواحد تاريخ الطبعة 1384هـ. 1964م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده القاهرة .
14. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (942هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد تاريخ الطبع 1394هـ. 1974م، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
15. صفة الصفوة : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن الجوزي (510. 597هـ)ط11389. 1969م، مطبعة الأصيل حلب النشر دار الوعي بحلب.
16. الطبقات الكبرى : ابن سعد تاريخ الطبع 1388هـ. 1967م
17. الكامل في التاريخ: عز الدين بن الحسن علي بن أبي الكرم الشهير بابن الأثير، تاريخ الطبعة 1385هـ. 1965م نشر دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.
18. لسان العرب : ابن منظور دار صادر بيروت، د. ت.
19. مواقف إنسانية في السيرة النبوية: عبد الله نجيب سالم مكتبة دار حواء، ط1 1994م.
20. وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن خلكان القاهرة 1310هـ .